المؤسس الحقيقي لتنظيم الضباط الأحرار

عبد الناصر أم عبد المنعم عبد الرءوف ؟

إن كان شهود ثورة يوليو والمؤرخون يتفقون على أن تنظيم الضباط الأحرار قد تكوَّن في البداية من الضباط الذي كانوا في الجهاز السري للإخوان منذ عام ١٩٤٣ ، لكنهم يختلفون حول من الذي قام بتجميع هؤلاء الضباط بعد الحرب وإحياء التنظيم بعد عودة الضباط من حرب فلسطين فبعض الكتاب – خاصة كتاب الإخوان المسلمين – يرون أن عبد المنعم عبد الرءوف هو الذي تجمَّع الضباط تحت قيادته. ويرجح أحمد حمروش هذا الرأي فيقول : " بعد الحرب بدأ أعضاء التنظيم السري التابع للإخوان في الاتصال تحت قيادة عبد المنعم عبد الرءوف لكن بعيداً عن جماعة الإخوان التي تعرضت إلى حملة إرهاب حكومي شديدة بعد اغتيال النقراشي باشا أبعدت الضباط عن الاتصال بهم وإن كان تنظيمهم قد استمر محتفظاً بكيانه تحت قيادة قائد الجناح عبد المنعم عبد الرءوف"[1]

والسادات يذكر أن عبد المنعم عبد الرءوف كان قائد التنظيم قبل أن يتمكن عبد الناصر من إزاحته : " عندما دخلت المعتقل كان عبد الناصر مازال في السودان ولكنه بمجرد وصوله مصر آخر ١٩٤٢ اتصل به عبد المنعم عبد الرءوف لضمه إلى التنظيم واستجاب عبد الناصر على الفور ، ولم يكن من

([1]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ١٤٣.

الصعب عليه بعد ذلك أن يزيح عبد المنعم عبد الرءوف من طريقه وأن يتولى هو قيادة التنظيم بدلاً منه".[1]

وفي مقابل هذا الرأي فإن بعض الكتَّاب – خاصة الناصريين – يؤكدون أن جمال عبد الناصر هو الذي جمَّع الضباط وكوَّن منهم اللجنة التأسيسية.

ويؤكد هذا الرأي خالد محيي الدين فيقول : " في الجلسة الأولى ، ومنذ أن احتوتنا غرفة الصالون في بيت عبد الناصر بكبري القبة تولى جمال القيادة دون عناء ودون قرار منا أو منه . كان الرتبة الأعلى هو " بكباشي " وكنا أقل منه رتبة صحيح أن عبد المنعم عبد الرءوف كان أقدم من جمال ، لكن جمال كان صاحب الفكرة وصاحب الدعوة ، وكان دوماً ومنذ دخلنا معاً الإخوان المسلمين هو الرافض لفكرة احتوائنا داخل الإخوان ، والمدرك لأهمية وجود تنظيم مستقل لنا. "[2]

والحقيقة أن طبيعة الأمور تفرض على الضباط أن يتجمعوا ويتبادلوا الرأي خاصة ممن كانوا في تنظيم واحد ، ومن الطبيعي أيضا أن يتجمعوا في البداية على الأقل تحت القيادة القديمة التي كانت تتمثل في عبد المنعم عبد الرءوف الذي كان أقدم رتبة من جمال عبد الناصر ، ولكن بعد انفصال الضباط عن الإخوان واستقلالهم بالتنظيم تم اختيار عبد الناصر رئيساً للتنظيم في يناير ١٩٥٠.

أما الادعاء بأن جمال عبد الناصر هو أول من أدرك أن المعركة الحقيقية في مصر وليست في فلسطين ، وبعد الحرب خطط منفرداً لتكوين تنظيم سري وقام وحده بتجميع الضباط وضمهم لهذا التنظيم الذي لم يكن له وجود من قبل ولا

---

(٢) أنور السادات " البحث عن الذات " المكتب المصري الحديث ص ١١٣ .

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٨١.

علاقة لهذا التنظيم الجديد بالتنظيم السري للإخوان المسلمين فهذا الكلام مجاف للحقيقة ، ومن يقل به يكون إما مقصر في استيفاء البحث أو لهوى في نفسه بعدما تواترت روايات الضباط الأحرار أنفسهم بصلة تنظيم الضباط الأحرار بالتنظيم السري التابع للإخوان المسلمين ، وكثرة التنظيمات السرية بعد حرب فلسطين.

ويؤكد خالد محيي الدين هذا فيقول : " في جلستنا الأولى ... أحسسنا أننا بحاجة إلى قوة ما أو بالدقة أحسسنا أننا نملك نوايا حسنة وأحلاماً طيبة للوطن والشعب والجيش ، ولكننا بحاجة إلى " الاستقواء " بفريق منظم من الضباط يمكنه أن يفعل شيئا ما لهذا الوطن.

أقول هذا ، وألح عليه لأنني قرأت كتابات للبعض يحاولون فيها تقديمنا وكأننا نمتلك الحكمة كل الحكمة ، وأننا أو أي منا قد وضع خطة معلومة الأهداف تمتد من خريف ١٩٤٩ حيث عقدنا الجلسة الأولى للخلية الأولى ، وحتى ٢٣ يوليو حيث استولينا على السلطة ، وهو ما لم يحدث مطلقاً . [1]

إرجاع الفضل إلى لأهل الفضل

بعض الكتاب الناصريين والقوميين والاشتراكيين يحاولون في كتاباتهم وأقوالهم حرمان جماعة الإخوان المسلمين من شرف المشاركة في تأسيس تنظيم الضباط الأحرار ، والتعاون مع قادة الثورة في سنيها الأولى ، وذلك لاختلافهم مع الجماعة أيديولوجيا أو لاختلاف مجلس قيادة الثورة مع الإخوان بعد ذلك ، ومحاولة بعض أفراد التنظيم السري للجماعة اغتيال جمال عبد الناصر في ١٩٥٤ أو محاولة

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مرجع سابق ص ٧٦.

الانقلاب على نظام دولة عبد الناصر في تنظيم ١٩٦٥ ، والحقيقة أن الفضل لا بد أن يعود لأصحابه وإن اختلفنا معهم والقرآن الكريم يقول :

﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٨)

ويفسر فخر الدين الرازي الآية الكريمة فيقول : " المعنى لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم ، بل اعدلوا فيهم وإن أساءوا عليكم ، وأحسنوا إليهم وإن بالغوا في إيحاشكم ، فهذا خطاب عام ، ومعناه أمر الله تعالى جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحداً إلاّ على سبيل العدل والإنصاف ، وترك الميل والظلم والاعتساف " [1]

نقول هذا لأن هناك كثيراً من الكتب والآراء التي تفتقر إلى الموضوعية تجنح إلى تعميم الأحكام وإطلاقها ، كما أنها تعتمد في رواية الأحداث على رواية واحدة وتسقط الروايات الأخرى مما يضلل الناس ويزيف الحقائق . فكثير من الكتابات المؤمنة بالتجربة الناصرية تصف جماعة الإخوان المسلمين منذ نشأتها وإلى الآن بالتطرف والإرهاب ، وكثير من كتب الإخوان يرجع كل ما حل بالأمة العربية من نكسات وإخفاقات لثورة ٢٣ يوليو وللرئيس جمال عبد الناصر وفي هذا تجني على الحقيقة ، لذا ينبغي ذكر الحقائق مجردة ثم مناقشة كل حدث على حدة ما له وما عليه . وهو ما نحاول أن ننهجه في هذا الكتاب.

***

(١) فخر الدين الرازي " مفاتيح الغيب" ج٦ ص٦